

تفسير البحر المحيط

@ 33 @ إِنْ نَّسَا كَاشِفُوكَ الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ * يَوْمَ
نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنْ نَّسَا مُنْتَظِمُونَ * وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ
قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ * أَنْ أَدَّسُوا إِلَيْنَا عِبَادَ
اللَّهِ * إِنْ نَّسَى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ * وَأَنْ لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ * إِنْ نَّسَى
بِرُسُلَاتِنَا مَبِيعِينَ * وَإِنْ نَّسَى عِذَّتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْتَجُمُون
* وَإِنْ لَّمْ تُوْا مِنْهُ لِي فَاعْتَزِلُونَ * فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَؤُلَاءَ قَوْمٌ
مَّجْرُمُونَ * فَأَسْرَبَ بِعَبَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُّتَّبِعُونَ * وَاتْرُكْ
الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مَّغْرَقُونَ * كَمْ تَرَ كُتُوبًا مِنْ جَنَّاتٍ
وَعُيُونٍ * وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ * وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ *
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ * فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ
وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْتَظِرِينَ . .

هذه السورة مكية ، قيل : إلا قوله : { إِنْ نَّسَا كَاشِفُوكَ الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ } . ومناسبة هذه السورة أنه ذكر في أواخر ما قبلها : { فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوْعَدُونَ } ، فذكر يوماً غير معين ، ولا موصوفاً . فبين في أوائل هذه السورة ذلك اليوم ، بوصف وصفه فقال : { فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ } ، وأن العذاب يأتيهم من قبلك ، ويحل بهم من الجذب والقحط ، ويكون العذاب في الدنيا ، وإن كان العذاب في الآخرة ، فيكون يومهم الذي يوعدون يوم القيامة . والظاهر أن الكتاب المبين هو القرآن ، أقسم به تعالى . ويكون الضمير في أنزلناه عائداً عليه . قيل : ويجوز أن يراد به الكتب الإلهية المنزل ، وأن يراد به اللوح المحفوظ ، وجواب القسم . وقال الزمخشري وغيره : قوله : { إِنْ نَّسَا أَنْزَلْنَاهُ } ، على أن الكتاب هو القرآن ، ويكون قد عظمه تعالى بالإقسام به . وقال ابن عطية : لا يحسن وقوع القسم عليه ، أي على إنا أنزلناه ، وهو اعتراض يتضمن تفخيم الكتاب ، ويكون الذي وقع عليه القسم { إِنْ نَّسَا كُنْذَرِينَ } . انتهى . قال قتادة ، وابن زيد ، والحسن : الليلة المباركة : ليلة القدر . وقالوا : كتب الله كلها إنما نزلت في رمضان ؛ التوراة في أوله ، والإنجيل في وسطه ، والزبور في نحو ذلك ، والقرآن في آخره ، في ليلة القدر ؛ ويعني ابتداء نزوله كان في ليلة القدر . وقيل : أنزل جملة ليلة القدر إلى البيت المعمور ، ومن هناك كان جبريل يتلقاه . وقال عكرمة

وغيره : هي ليلة النصف من شعبان ، وقد أوردوا فيها أحاديث . وقال الحافظ أبو بكر بن العربي : لا يصح فيها شيء ، ولا في نسخ الآجال فيها . .

إنا كنا منذرين : أي مخوفين . قال الزمخشري : فإن قلت : { إِنْ زُلْزَلَتْ أَسْوَاطُ السَّمَاوَاتِ فُتِحَتْ أَرْضُنَا } ما موقع هاتين الجملتين ؟ قلت : هما جملتان مستأنفتان ملفوفتان ، فسر بهما جواب القسم الذي هو قوله تعالى : { إِنْ زُلْزَلَتْ أَسْوَاطُ السَّمَاوَاتِ فُتِحَتْ أَرْضُنَا } ، كأنه قيل : أنزلناه ، لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب . وكان إنزالنا إياه في هذه الليلة خصوصاً ، لأن إنزال القرآن من الأمور المحكمة ، وهذه الليلة مفرق كل أمر حكيم ، والمباركة : الكثيرة الخير ، لما ينتج □ فيها من الأمور التي تتعلق بها منافع العباد في دينهم ودنياهم ، ولو لم يوجد فيها إلا إنزال القرآن وحده ، لكفى به بركة . انتهى . وقرأ الحسن ، والأعرج ، والأعمش : يفرق ، بفتح الياء وضم الراء ، كل : بالنصب ، أي يفرق □ . وقرأ زيد بن علي ، فيما ذكر الزمخشري : نفرق بالنون ، كل بالنصب ؛ وفيما ذكر أبو علي الأهوازي : عينه بفتح الياء وكسر الراء ، ونصب كل ، ورفع حكيم ، على أنه الفاعل بيفرق . وقرأ الحسن : وزائدة عن الأعمش بالتشديد مبنياً للمفعول ، أو معنى يفرق : يفصل من غيره ويلخص . ووصف أمر بحكيم ، أي أمر ذي حكمة ؛ وقد أبهم تعالى هذا الأمر . .

وقال ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، ومجاهد : في ليلة القدر يفصل كل ما في العام المقبل من الأقدار والأرزاق والآجال وغير ذلك ، ويكتب ذلك إلى مثلها من العام المقبل . وقال هلال بن أساف : كان يقال : انتظر والقضاء في رمضان . وقال عكرمة : لفصل الملائكة في ليلة النصف من شعبان . وجوزوا في أمراً أن يكون مفعولاً به بمنذرين لقوله : { لَنُنَزِّلَ لَكُمْ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ } . أو على الاختصاص ، جعل كل أمر حكيم جزلاً فخماً ، بأن وصفه بالحكيم ، ثم زاده جزالة